

دور الإلتفات في انسجام القرآن الكريم في تفسيري الكشاف وإرشاد العقل السليم

سيد بابك فرزانه

أستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة الحرة الإسلامية ، إيران

Farzaneh@srbiau.ac.ir

عليرضا باقر

أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة الحرة الإسلامية ، إيران

Ali.Baqer@iauctb.ac.ir

عزيز رئيسي

طالب الدكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة الحرة الإسلامية ، إيران

raeisi.ozair@gmail.com

**The role of looking at the harmony of the Noble Qur'an in the two
revealing commentaries and guiding a sound mind**

Syed Babak Farzana

a professor in the Department of Arabic Language and Literature at Al-Hurra Islamic University , Iran

Ali Reza Baqer

Assistant Professor in the Department of Arabic Language and Literature at Al-Hurra Islamic University , Iran

Aziz Raisi

PhD student in the Department of Arabic Language and Literature at Al-Hurra Islamic University , Iran

Abstract:

There is no doubt that the Qur'anic expression has artistic forms and secrets that indicate that this Qur'an is literary speech that is intended and that its text gains beauty, splendor, permanence and integrity. Perhaps one of the most prominent of these features is the phenomenon of harmony and its effect on the performance of the Qur'anic meaning integrated in all respects. Because harmony in the terminology is the interconnection that is achieved through semantic means in the first place, and is represented in a deep structure on the deep level of the text that provides an illustration of the methods of interconnection between structures that may appear inconsistent or disjointed on the surface, it is of a semantic and abstract nature that appears through relationships that reflect them. The linguistic elements in the text, and this type of connection is what is correct to use the term harmony. In order to achieve this harmony, the Noble Qur'an relies on moving from one state to another in speech, and suddenly the meaning reverberates lightly and suddenly in the mind of the addressee, which is the art of turning. This article relies on the analytical descriptive method to evaluate the harmony with the types of turning in the Noble Qur'an in the exegesis of the Scout and the guidance of a sound mind. Through this research, we studied the types of attention (formulas - number - tools - pronouns - grammatical structure - lexicon) as the harmony components of these two interpretations, and it was noticed that these two interpretations are equal in some of the Qur'anic citizens in which the image of turning is represented.

Key words : the Noble Qur'an , harmony , turning around , types of turning .

الملخص :

لا شك أن للتعبير القرآني أشكالاً وأسراراً فنية تدلّ على أن هذا القرآن كلام أدبي مقصود و تكسب نصّه جمالاً وروعة ودواماً واستقامة. لعل من أبرز هذه السمات، ظاهرة الانسجام وأثرها في أداء المعنى القرآني متكاملًا من جميع الوجوه. لأن الانسجام في الاصطلاح هو الترابط الذي يتحقق من خلال وسائل دلالية في المقام الأول، ويتمثل في بنية عميقة على المستوى العميق للنص تقدم إيضاحاً لطرائق الترابط بين تراكيب ربما تبدو غير متسقة، أو مفككة على السطح، فهو ذو طبيعة دلالية تجريدية تظهر من خلال علاقات تعكسها العناصر اللغوية في النص، وهذا النوع من الربط هو ما يصح إطلاق مصطلح الانسجام عليه. ولتحقيق هذا الانسجام يعتمد القرآن الكريم على الانتقال من حالة إلى أخرى في الكلام وبشكل مفاجئ يجعل المعنى يتردد بصورة خاطفة وفجائية في ذهن المخاطب وهو فن الالتفات.

يعتمد هذا المقال على المنهج التحليلي الوصفي لتقييم الانسجام بأنواع الالتفات في في القرآن الكريم في تفسيرين الكشف وإرشاد العقل السليم. قمنا من خلال هذا البحث بدراسة أنواع الالتفات (الصيغ - العدد - الأدوات - الضمائر - البناء النحوي - المعجم) كمكونات الانسجام في هذا التفسيرين ولوحظ أن هذا التفسيرين متساوي في بعض المواطن القرآنية التي تمثلت فيها صورة الالتفات.

المفردات الرئيسية : القرآن الكريم ، الإنسجام ، الالتفات ، أنواع الالتفات .

المقدمة وشرح الموضوع

امتاز القرآن الكريم بأسلوبه الذي يختص به ولا يدانيه أسلوب آخر؛ لأنه يتضمن لغة عربية متطورة استثارت العقل البشري ويحتوي علي البناء اللغوي المتين والنظم البلاغي الوافي، وهذا يعني أن القرآن الكريم قد جاء في مفرداته وتراكيبه وعباراته بأسلوب عربي يخرج كثيراً ما عن المؤلف والمعهود في لغة العرب، الأمر الذي قد أدى إلي إفحام العرب بحجته وسحرهم ببلاغته. هذا النص المنسجم يجعل النقاد أن يغوصوا في أعماق بحر القرآن؛ ليكشفوا أسرارهم ويستنبطوا أصوله ويستبينوا قيمته وجماله ومن الاتجاهات النقدية الجديدة التي تتيح للباحث أن ينظر في النص القرآني ويهتم بلسانه هي الأسلوبية والباحث الأسلوبية ينظر إلي النص ليحقق من خلال ذلك وظائف أسلوبية وجمالية تحدث تأثيراً خاصاً في المتلقي وهي فرع من فروع الدرس اللغوي الحديث يهتم ببيان الخصائص التي تميز كتابات أديب ما، أو تميز نوعاً من الأنواع الأدبية بما يشيع في هذه أو تلك من صيغ صرفية مخصوصة أو أنواع معينة من الجمل والتراكيب، أو مفردات يؤثرها صاحب النص الأدبي (ويس، ٢٠٠٥: ٧).

الانسجام النصي أحد المعايير المهمة التي تحقق الاستمرارية في عالم النص، وهو يمثل مع معيار الاتساق- الذي يختص ببيان مظاهر الترابط السطحي- البنية الكلية لنص ما، فالانسجام وفق هذا يهتم ببيان الترابط المفهومي في النص، أي إيضاح العلاقات الدلالية التي تربط معاني الأقوال (دي بوجرانند، ١٩٨٨: ١٣٦-١٧٥). الانسجام يطلب من المتلقي صرف الاهتمام عن العلاقات التي تنظم النص وتتحكم في توليده، في إطار الخطاب، أي نقل الاهتمام من نص إلى نص، فهو بذلك أهم المعايير التي اشتراطها اللغويون لوصف النص بالترابط والتماسك.

يعدّ الالتفات أحد أبرز مميزات أسلوب القرآن الكريم وقد ظهر في العديد من الآيات بشكل بارز، ومنذ المرات الأولى التي تطرق فيها النقاد والباحثون العرب إليه في كتاباتهم ومؤلفاتهم فيما يتعلق ببلاغة القرآن، لم يغب عن آرائهم وأفكارهم هذا البناء اللغوي في القرآن الكريم، ولكن كان كلٌّ منهم يتطرق إلى شرح هذه الظاهرة وتعيين حدودها ونقاطها وفقاً لمعرفته وفهمه لها. ومن خلال الاطلاع على الكتب النقدية والبلاغية القديمة يمكن الاستنتاج أن تعريفات الالتفات كلها والاستشهادات

عليه قبل الزمخشري كانت مبهمة وضيقة نوعاً ما، وكانت تتضمن في مجموعها مواضع بلاغية أخرى (طبل، ١٩٩٨: ٢٠-١٦)، وقد استمر ذلك حتى تطرق الزمخشري إلى شرح هذا المصطلح في كتابه "الكشاف" (نفسه: ٢٠) حيث عرفه بأنه "أي نوع من أنواع التغيير في سياق الكلام وأسلوبه" (العسكري، ١٤١٩: ٣٩٢) وشرحه بدقة وتفصيل وقال في تعريفه: «هذا يسمى الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة إلى الخطاب، ومن الخطاب إلى الغيبة، ومن الغيبة إلى التكلم» (الزمخشري، ١٤٠٧، ١: ١٣).

يظهر لنا من هذا التعريف أن الزمخشري يحصر الالتفات في كونه عبارة عن تغيير في الضمائر. وفضلاً على الإنجازات التي حققها الزمخشري في كتابه فيما يتعلق بالبلاغة العربية، فقد كان له أيضاً في كتابه تفسير الكشاف إشارات خفية ودقيقة حول وظيفة الالتفات الجمالية والدلالية، وقد كانت آراؤه هذه محط اهتمام الكثير من البلاغيين والمفسرين لمدة طويلة، حتى جاء أبو السعود العمادي في القرن التاسع وأضاف إلى آراء الزمخشري مستفيداً منها ومؤسساً عليها في كتابه التفسيري "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" وبهذا يكون قد خطا خطوة أخرى في هذا الفن البلاغي.

نحاول في هذه الدراسة أن نتطرق إلى نقد ودراسة آراء الزمخشري وأبي السعود في بعض الالتفاتات القرآنية ضمن التطرق إلى فن الالتفات في الأدب العربي ومراحل تطوره في البلاغة العربية، ومن البديهي ألا يتسع هذا البحث ليشمل الالتفاتات كلها فهذا يتطلب أن يُخصَّص لذلك مؤلفات عديدة وضخمة.

بالرغم من كثرة البحث عن القرآن الكريم لم يتم فحص دور الالتفات في انسجام آيات القرآن الكريم. يسعى هذا البحث إلى التوصل بين هذا الفن في البلاغة والتماسك في علم اللغة وخلال تحليل أمثلة على أنواع من الالتفات المستخدمة في آيات القرآن، قدمه هذا الفن كأحد المكونات المتناسكة ويؤدي الانسجام الدلالي في النص من خلال كسر بنية وجسم الكلمة في المظهر وخلق المزيد من الحافز والانتباه.

١-١. أسئلة الدراسة وفرضيتها

يسعى هذا البحث إلى الإجابة عن عدة أسئلة رئيسية وهي:

- ما هو دور الالتفات في انسجام الكلام وفقاً لنظرة الزمخشري وأبي السعود ؟
- ما هي أنواع فن الالتفات في آيات القرآن الكريم ؟

- تقوم هذه الدراسة على مجموعة من الفرضيات وهي تعمل على تأكيدها أيضاً، وتلك الفرضيات هي:
- يبدو أن الالتفات ، بكونه في مركز المصاحبة واستبدال الكلام ، له دور كبير في تماسك سور القرآن الكريم.
 - يبدو أن القرآن الكريم قد استخدم ستة الالتفاتات ، نحو الالتفات في الضمائر والأعداد والصيغ والحروف والبنية النحوية والمفردات ، ويستخدم الالتفات في الضمائر والصيغ أكثر من الأنواع الأخرى.

٢١. خلفية البحث

القرآن الكريم -كما هو المعلوم- بحر شاسع وفيه كثير من المعارف والعلوم فكان من القديم ولا يزال محط أنظار المحققين؛ فالفقيه يستنبط منه الأحكام الشرعية والنحوي يبنى عليه قواعد التركيب والصيغ، والبياني يبحث فيه عن طرق الفصاحة والبلاغة وهكذا كل باحث في أي علم يجد فيه ضلائله المنشودة؛ أما بالنسبة للدراسات التي دارت حول القرآن الكريم في العصر الحديث نجد أنها كثرت تلك الدراسات التي تمحورت حول الأسلوب القرآني، منها دراسة الظواهر الأسلوبية في كثير من السور القرآنية منها:

- رسالة ماجستير "سورة الواقعة دراسة أسلوبية" كتبها بلال سامي قسم اللغة العربية، جامعة جامعة شرق الأوسط (٢٠١٢م). تناولت هذه الدراسة في ثناياها سورة "الواقعة" وفق المنهج الأسلوبي الذي يتخذ بمستوياته المختلفة في الدرس اللساني الحديث (الصوتي، والصرفي، والنحوي، والبياني) إضافة إلى الجوانب النفسية.

- رسالة "دراسة أسلوبية في سورة مريم" كتبها أحمد صالح، جامعة النجاح الوطنية في نابلس (٢٠٠٣م). يتحدث الكاتب في هذه الرسالة عن ثلاثة مستويات (الصوتي، واللفظي، والتركيب) في سورة مريم، كنموذج للإعجاز القرآني الأسلوبي.

- مقالة "الإعجاز البياني للقرآن الكريم من خلال أسلوبية الانزياح دراسة وصفية - تطبيقية" كتبها آفرين زارع، مجله دراسات في اللغة العربية وآدابها، السنة الثانية، العدد الخامس (١٣٩٠ش). استهدفت هذه المقالة بدراستها الموجزة بوضع اصبعها

علي إعجاز القرآن معالجة مدي استيعابيته من خلال دراسته نماذج من النص الشريف دراسة وصفية - تطبيقية علي أسلوية الانزياح بأنواعه الثلاثة: الاستبدالية والتركيبة والصوتية.

- مقالة "سبك شناسي سوره مريم (عليه السلام)" كتبها محمد خاقاني ومحمد جعفر اصغري، فصلية لسان مبین، السنة الثانية، العدد الأول (١٣٨٧ ش). تحاول هذه الدراسة أن تعالج ما في سورة مريم (عليه السلام) من علاقات ترابطية والترادف والمشارك اللفظي والتكرار والإفراد والدلالة الصوتية مستعينة باللسانيات والأسلوية.

- مقالة "التقابل الدلالي في سورة الحديد" لرعد حسين الهديل، المطبوعة في مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية، حيث يعتبرها من السمات الأسلوية وعرف الباحث فيها مفهوم التقابل وقسمها إلي التقابل الدلالي والظرفي ...

- كتاب «أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية» تأليف حسن طبل وهو كتاب جامع حول الالتفات العربي - القرآني (١٩٩٨هـ). وقد قام المؤلف فيه بدراسة مواضيع تتعلق بالالتفات، وشرحها في ثلاثة فصول. درس في الفصل الأول الجذور التاريخية لهذا المصطلح والفنون التي ارتبطت بالالتفات في كتب البلاغة القديمة جميعها، وحتى المواضيع الخلافية التي طرحت حول هذه الظاهرة، ثم تطرق في النهاية إلى آراء أشخاص يعدون أي تغيير في أسلوب الكلام التفاتاً. في الفصل الثاني نظر إلى الالتفات من وجهة نظر الأسلوية المعاصرة ودرس وجوه التشابه والاختلاف بين الالتفات والأسلوية، ومن ثم حلل في الفصل الثالث بعض الآيات القرآنية التي يظهر فيها الالتفات بأشكاله المختلفة، ومنها الالتفات في الصيغة، والالتفات في العدد، والالتفات في الأدوات، والالتفات في الضمائر، والالتفات في الصيغة النحوية والمعجمية.

- مقالة "تطبيقات ووظائف فن الالتفات في القرآن" من تأليف محمد آ.س. عبد الحليم، والتي ترجمها أبو الفضل حري في مجلة الدراسات القرآنية الفصلية عام ١٣٩١ ش.

(٢٠١٢م) الذي نهج منهج حسن طبل نفسه، واعتبر أن الالتفات يشكل أي تغيير في سياق الكلام، وذكر كذلك تحليلات مأخوذة من تفاسير القرآن أثناء إيراد للشواهد والأمثلة.

- مقالة "تطبيق الالتفات في نسيج الكلام الإلهي" التي كتبها عبد الله رادمرود و هما رحمانى فى مجلة اللسان المبين، عام ١٣٩١ ش (٢٠١٢م) والتي قام فيها الباحثان بالإطناب فى شرح أهمية الالتفات وتطبيقاته واستخداماته البلاغية وأنواعه فى اللغة الفارسية وتطرقوا إلى دراسة أنواع الالتفات فى القرآن، فدرسوا الأنواع الثمانية للالتفات والتي هي: تغيير الضمائر، وتغيير العدد، وتغيير حروف الجر، وتغيير المخاطب، وتغيير زمان الفعل، وتغيير الحالة القواعدية، واستخدام الاسم بدلاً من الضمير والاستخدام المتبادل لاسمين بمعنى واحد.

لكن بالرغم من كثرة البحث عن القرآن الكريم لم يتم فحص دور الالتفات فى انسجام آيات القرآن الكريم . يسعى هذا البحث إلى التوصل بين هذا الفن فى البلاغة والتماسك فى علم اللغة وخلال تحليل أمثلة على أنواع من الالتفات المستخدمة فى آيات القرآن، قدمه هذا الفن كأحد المكونات المتماسكة ويؤدي الانسجام الدلالي فى النص من خلال كسر بنية وجسم الكلمة فى المظهر وخلق المزيد من الحافز والانتباه.

نحاول فى هذه الدراسة أن نتطرق إلى نقد ودراسة آراء الزمخشري وأبى السعود فى بعض الالتفاتات القرآنية ضمن التطرق إلى فن الالتفات فى الأدب العربى ومراحل تطوره فى البلاغة العربية، ومن البديهي ألا يتسع هذا البحث ليشمل الالتفاتات كلها فهذا يتطلب أن يُخصَّص لذلك مؤلفات عديدة وضخمة.

٢. البحث

١٢. الالتفات

الالتفات هو صرف الوجه من جهة إلى أخرى (ابن منظور، ٢٠٠٣: ٢/ الجذر لفت) وهو اصطلاحاً من أكثر الاصطلاحات إبهاماً فى كتب البلاغة حيث عرفه النقاد على اختلافهم تعاريف مختلفة. يظهر من الآراء الواردة فى كتب البلاغة أن الأصمعي كان أول من تطرق إلى هذا المصطلح واستخدمه على أنه "انتقال من معنى إلى آخر" (القيرواني، ١٩٨١: ٤٦/ ٢). وقد ذكر ابن المعتز بعد الأصمعي هذا المصطلح فى كتابه "البديع" فى قسم محاسن الكلام، وقال فى تعريفه: الالتفات هو أن يعود المتكلم من الخطاب إلى الإخبار ومن الإخبار إلى الخطاب أو أن ينتقل من معنى إلى آخر (ابن

المعتز، ١٩٨٢: ٥٨). فالالتفات وفقاً لتعريف ابن المعتز يدلّ على تغيير الضمائر وتغيير المعنى معاً.

وقد جاء قدامة بن جعفر بعد ابن المعتز في تعريفه لهذا المصطلح فعرّفه تعريفاً يختلف اختلافاً كلياً عن التعاريف السابقة، فنراه يقول في تعريفه أن "الالتفات يعني أن يكون الشاعر أخذاً في معنى، فكأنه يعترضه إما شك فيه أو ظنٌّ بأن راداً يردُّ عليه قوله أو سائلاً يسأله عن سببه أو يحلّ الشك فيه." (قدامة بن جعفر، ١٣٠٢: ٥٣).

ويعرّف ابن رشيق القيرواني هذا الاصطلاح كما عرفه ابن المعتز تماماً وقد حصر تطبيقه واستخدامه على نوعين: "تغيير الضمائر" و"الانتقال من معنى إلى آخر" (القيرواني، ١٩٨١: ٢ / ٤٧-٤٥).

وقد ذكر أبو علي الحاتمي تعريف قدامة بن جعفر نفسه فقال: «هو أن يكون الشاعر أخذ في معنى فيعدل عنه إلى غيره، قبل أن يتم الأول، ثم يعود إليه فيتمه، فيكون فيما عدل إليه مبالغة في الأول، وزيادة في حسنه» (الحاتمي، ١٩٧٩: ١ / ١٥٧). لقد تطرق هؤلاء النقاد إلى تعاريف هذا الفن، ولكنهم لم يذكروا شيئاً عن جوانبه الجمالية والدلالية، وحتى إن تعاريفهم مختلفة ومبهمّة إلى حدّ تشمله فنون علم المعاني والبديع المختلفة من قبيل الاستطراد والاعتراض والتذييل والتتميم والاحتباس وغير ذلك. وقد بقي هذا الأمر حاكماً على النقد الأدبي والبلاغة العربية لمدة طويلة حتى جاء الزمخشري وخلق إبداعاً في هذا الفن، وقد قام في البداية بتضييق دائرة شمولية هذا المصطلح وحصر الالتفات بتغيير الضمائر التي تدل على المدلول نفسه، فنراه يقول في شرح جمالية الالتفات: «ولأنّ الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب، كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجراءاته على أسلوب واحد» (الزمخشري، ١٤٠٧: ١ / ١٤). يمكن الاستنتاج من كلام الزمخشري هنا أن المستمع قد يملّ من خطاب المتكلم إذا بقي على أسلوب واحد، وعندها لن يجد ما يكفي من المتعة لمتابعة الإصغاء، ولكن عندما يحدث تغيير في الضمائر وفي بنية الكلام ويبتعد عن المعايير المألوفة له تطرأ على الكلام دينامية وعذوبة وطراوة. يشير الزمخشري في تنمة عبارته إلى النواحي الدلالية لهذا الفن بقوله: «وقد تختص مواقعه بفوائد» (نفسه)،

ويقصد بعبارة هذه أن الفوائد الدلالية لهذا الفن تنتج من السياق ومن مواقع إيراد الكلام.

بقيت مجموعة من قبيل ابن الأثير ويحيى بن حمزة وغيرهما ممن جاؤوا بعد الزمخشري على ما كان عليه من سبقه، واعتبروا أن الالتفات يشكل أي نوع من أنواع الخروج عن مقتضى الظاهر وأي تغيير في بنية الجملة المألوفة (العلوي، ١٤٢٣: ٧١ / ٢) ولكن جمهور البلاغيين اتبعوا أسلوب الزمخشري واعتبروا الالتفات منحصرًا في تغيير الضمائر، بشرط أن يكون مرجع الضمير الذي تغير هو مرجع الضمير السابق نفسه: «شرط الالتفات أن يكون الضمير في المنتقل إليه عائداً في نفس الأمر إلى المنتقل عنه وإلا يلزم عليه أن يكون في أنت صديقي التفات» (السيوطي، ١٩٧٤: ٣ / ٢٩٣).

بقي تأثير الزمخشري ملحوظاً لدى علماء البلاغة والمفسرين لقرون عدة، وكمثال على ذلك فإن ابن الأثير، الذي وسع دائرة مفهوم الالتفات عن تلك التي وضعها الزمخشري في نظريته، على الرغم من عدم صحة رأيه، رفض في كتابه المثل السائر نظرية الزمخشري من حيث البعد الجمالي (ابن الأثير، لاتا: ١٣٦ / ٢)، ولكنه فيما بعد استخدم الفوائد الدلالية من وجهة نظر الزمخشري حيث يقول: «الغرض الموجب لاستعمال هذا النوع من الكلام لا يجري على وتيرة واحدة، وإنما هو مقصور على العناية بالمعنى المقصود، وذلك المعنى يتشعب شعباً كثيرة لا تنحصر، وإنما يؤتى بها على حسب الموضع الذي ترد فيه» (نفسه: ١٣٧).

ونرى كذلك أحمد بن حمزة العلوي أيضاً في كتاب الطراز يؤيد رأي الزمخشري ويشيد به أثناء رده ومناقشته لرفض ابن الأثير لرأي الزمخشري (العلوي، ١٤٢٣، ج ٢: ٧٢). وكان أبو السعود العمادي صاحب القسط الأكبر من التأثير بآراء الزمخشري مقارنة ببقية العلماء الذين تأثروا بتلك الآراء فيما يتعلق بالالتفات، وذلك لأنه تطرق إلى الوظيفة الدلالية للالتفات أثناء دراسته للآيات المتعددة التي تحوي على الالتفات، وهذا الأمر كما ذكرنا سابقاً، كان من ابتكارات الزمخشري. وفيما سيأتي سنعرض المقارنة التحليلية للمواضيع التي شرحها كل من الزمخشري والعمادي فيما يتعلق بالوظيفة الدلالية للالتفاتات القرآنية، وذلك لنتمكن من معرفة مقدار تأثيره بالزمخشري ومقدار نجاحه.

لهذا الفن فوائد عامّة و خاصة وقعت في القرآن الكريم، فمن فوائده العامة: التفنن و الانتقال من أسلوب إلي آخر لما في ذلك من تنشيط السامع و استجلاب صفائه و اتساع مجاري الكلام، و تسهيل الوزن و القافية، و تطويرة الكلام، و صيانة السمع عن الضجر و الملل و السلامة من الاستمرار علي منوال واحد. و من فوائده الخاصة يختص كل موضع بنكت و لطائف باختلاف محله، منها: حث السامع و بعثه علي الاستماع، و إعطاء فضل عناية تختص بالمواجهة و تعظيم شأن المخاطب و تعميم الأمر للغائب و للحاضر و التلطيف في الكلام و بعث شفقه و رحمة المخاطب، و التنبيه علي تخصيص الشئ بصفة و التعجب من صنع و تتميم المعني و قصد المبالغة و قصد الدلالة علي الاختصاص، و منها قصد الاهتمام، و منها التوبيخ و التأدب و التعجب من صنع المخاطب (الزركشي، ١٣٩١: ٣/٣٣٠-٣٢٥).

يرى جمهور البلاغيين أنه حتى يكون هناك التفات لا بد أن يتوافر شرطان: الأول أن يكون هناك انتقال من صيغة إلى أخرى تخالف ما يقتضيه الظاهر، والثاني أن يكون المنتقل إليه هو ذات المنتقل عنه ولعل الشرط الثاني توضيح لما أشار إليه الشرط الأول من وجوب أن تكون الصيغة المنتقل إليها على خلاف ما يقتضيه الظاهر، فظاهر السياق يقتضي أن يبقى المتكلم على الصيغة التي بها بدأ الكلام ما دام يتحدث عن الأمر نفسه. وتبدو أهمية هذين الشرطين واضحة في ما ينتج عنهما من نكتة بلاغية جعلت أسلوب الالتفات واحداً من أبرز الأساليب البلاغية إثارة للفكر الباحث وراء سر العدول من صيغة إلى صيغة مع أن المعدول إليه هو نفسه المعدول عنه، ودون هذين الشرطين يفقد هذا العدول، في كثير من الأحيان، ما فيه من نكتة لطيفة نظن أنها تقف وراء التفات العلماء إليه حتى جعلوه من شجاعة العربية (ابن جني، ١٩٥٦: ٢/٤١٩-٤١١) وهذا لا يعني أنه لا توجد نكت بلاغية في بعض أنواع العدول المخالفة لمقتضى الظاهر من غير الالتفات، إلا أن تلك النكت ليست من باب النكت البلاغية للالتفات. وبذلك فإن الشرطين المشار إليهما يجعلان الالتفات متميزاً عن باقي أنواع الخروج عن مقتضى الظاهر، وبهما يصبح الالتفات صورة خاصة من صور العدول من صيغة إلى أخرى.

٢٢. الانسجام

والانسجام لغةً من سَجَمَتِ العينُ الدمعَ والسحابةُ الماءَ، تَسْجِمُهُ سَجْماً وَسُجُوماً وَسَجْمَاناً: وهو قطران الدمع وسيلانه، قليلاً كان أو كثيراً... والعرب تقول: دَمَعَ ساجمٌ، ودمعٌ مسجومٌ، سَجَمَتِ العينُ سَجْماً... وكذا عينٌ سَجُومٌ وسحابٌ سَجُومٌ، وانسَجَمَ الماءُ والدمعُ، فهو مُنْسَجَمٌ، إذا انسَجَمَ أي انصب، وسَجَمَتِ السحابةُ مطرها تَسْجِماً وتَسْجَماً إذا صَبَّتْ،... وأَسْجَمَتِ السحابةُ دَامَ مَطَرُهَا (ابن منظور، ٢٠٠٣: ٤٥٧-٤٥٨).

والانسجام في الاصطلاح هو الترابط الذي يتحقق من خلال وسائل دلالية في المقام الأول، ويتمثل في بنية عميقة على المستوى العميق للنص تُقدم إيضاحاً لطرائق الترابط بين تراكيب ربما تبدو غير متسقة، أو مفككة على السطح، فهو ذو طبيعة دلالية تجريدية تظهر من خلال علاقات تعكسها العناصر اللغوية في النص، وهذا النوع من الربط هو ما يصح إطلاق مصطلح الانسجام عليه (بحيري، لاتا: ١٢٢-١٢٣). وهذا يؤكد أنه يهتم بالروابط الدلالية المتحققة في عالم النص بخلاف الاتساق الذي يهتم بالروابط الشكلية المتجسدة في ظاهر النص (الفقي، ٢٠٠٠: ٩٤/١)، ويعرفه الدكتور سعد مصلوح بأنه: ((الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم) (مصلوح، ١٩٨٠: ١٤٥).

في الانسجام يتوجه اهتمام المتلقي صوب العلاقات الخفية والمغبية التي تنظم النص وتولده، (خطابي، ١٩٩١: ٦) خاصة في النصوص الأدبية إذ يرى بعض المنظرين أن انسجامها لا يوجد في النص، وإنما هو شيء يصنعه المتلقي بفهمه وتأويله. وقد أولى علماء النص عناية قصوى بالانسجام فيذكرون أنه خاصية دلالية للخطاب تقوم على فهم كل جملة مكونة للنص وربطها بما يفهم من الجمل الأخرى (صلاح فضل، ١٩٨٥: ٣٤٠) وبما أن الانسجام يتعلق بالارتباط الدلالي والتداولي، فهذا يجرنا إلى الحديث عن السياق والمعرفة بالعالم؛ إذ يوفر السياق جملة من المعطيات تساعد على تأويل الخطاب، وهي معطيات لا توفرها الخصائص النحوية والمعجمية للصيغة اللغوية، أما عن المعرفة الخلفية (المعرفة بالعالم) فتعني أن القارئ حين يواجه خطاباً لا يواجهه وهو خاوي الذهن وإنما يستعين بتجاربه السابقة، وخبراته الحياتية.

٣٢. أنواع الالتفات في تفسير الزمخشري أبو السعود

١٣.٢. الالتفات في الضمائر

الالتفات في هذه الطريقة يعين أن ينتقل الكلام من صيغة إلي أخرى كالانتقال من ضمير التكلم إلي ضمير الخطاب لأن الهدف من دراسة النص الإبداعي هو الوصول إلي مراد المبدع في هذا النص. وإذا كانت الضمائر عنصراً من عناصر النص، فإن التعرف عليها ليس باعتبارها بنية سطحية فقط، بل كونها بنية عميقة تعطي تصوراً مهماً لفهم النص، كما أن حركة الضمائر ليست أداة خارجية، بل مستوى دراسياً مهماً في فهم النص، وإن التعرف عليها تعطينا بعداً آخر من أبعاد القراءة الإبداعية. والانتقال من ضمير إلي آخر يعد منبهاً للقارئ لأننا نعرف أن الالتفات يعد كسراً للسياق اللغوي داخل النص وهو الدافع لجذب الانتباه، لأن السياق إذا ما استمر على وفق نسق بعينه سيكون سياقاً مشبعاً (سليمان، ١٩٩٠: ٢٢٩). لذلك فإن لحظة الانتقال هذه تعد خروجاً على المألوف، إنه خروجٌ يهدف إلي تحقيق منافع دلالية متعددة لافتة لانتباه القارئ (عبد المطلب، ١٩٨٤: ٢٠٥-٢٠٤). فمن المواضع التي ورد فيها هذا اللون البلاغي قوله تعالى :

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ۖ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ ۖ

كُلُّ إِلَهِتَانِ رَجُوعٌ﴾ (الأنبياء: ٩٢-٩٣).

موضع الالتفات هو قوله (وَتَقَطَّعُوا) بلفظ الغيبة بعد أن كان بلفظ الخطاب في (امتكم ... فاعبدوني)، وقد جمع هذا الموضع من العلل الكثيرة والغايات المثيرة التي انطوت عليها الآية، فهو توبيخ لهم على ما فعلوه من تقطيع أمر دينهم إلى أحزاب شتى، وهو تقبيح لفعلهم هذا، لذا كان الالتفات أصلاً فيه إذ أريد إظهار قبح هذا الفعل لدى الجميع فالتفت عنهم إلى الغيبة لينعى عليهم مثل هذا الفعل، كأن الأمر أو الفعل صادر من غيرهم. لذا يعد الالتفات من عناصر التشويق في النص، وهو انتقال يضيف على اللغة شيئاً من الحيوية في سياقها اللغوي.

قال الزمخشري : (والأصل: وتقطعتم، إلا أن الكلام حرف إلى الغيبة على طريقة الالتفات، كأنه ينعى عليهم ما أفسدوه إلى آخرين ويقبح عندهم فعلهم ويقول لهم :

ألا ترون إلى عظيم ما أرتكب هؤلاء في دين الله، والمعنى : جعلوا أمر دينهم فيما بينهم قطعاً، كما يتوزع الجماعة الشيء ويتقسمونه فيصير لهذا نصيب ولذلك نصيب تمثيلاً الاختلافهم فيه وصيرورتهم فرقا وأحزاب شتى ثم توعدهم بأن هؤلاء الفرق مختلفة إليه يرجعون، فهو محاسبهم ومجازيهم) (الزمخشري، ١٤٠٧: ٥٨٣/٢).

وزاد أبو السعود في توضيح عظيم فعلهم بقوله : (كأنه قيل : ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله الذي أجمعت عليه كافة الأنبياء عليهم السلام ، (كل) أي كل واحدة من الفرق المتقطعة ... إلينا راجعون بالبعث لا إلى غيرنا فجازيهم حينئذ بحسب أعماله) (أبو السعود، لاتا: ٨٤/٦).

فمن المواضع الاخرى التي ورد فيها الالتفات في الضمائر، قوله تعالى :

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۚ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۚ﴾ (٨٨) ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ

وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ (مريم: ٨٨-٩٠)

موضع الالتفات هنا هو قوله تعالى (لَقَدْ جِئْتُمْ) للخطاب بعد أن كان للغيبة في قوله تعالى : (وقالوا) ، واتفق المفسرون والبلاغيون على ان فائدة هذا الأمر هو زيادة التسجيل عليهم بالجرأة على الله وتنبيه على عظم ما قالوه دالا على جهلهم بالله وقدرته. قال الزمخشري بعد أن بين موضع الالتفات : (وهو الذي يسمى الالتفات في علم البلاغة، زيادة تسجيل عليهم بالجرأة على الله والتعرض لسخطه، وتنبيه على عظم ما قالوا) (الزمخشري، ١٤٠٧: ٥٢٤/٢).

وبين أبو السعود أن هذا الأسلوب جاء رداً لمقاتلتهم الباطلة وتهويلاً لأمرها، فقال : (رد المقاتلتهم الباطلة وتهويل لأمرها بطريق الالتفات المنبئ عن كمال السخط وشدة الغضب المفصح عن غاية التشنيع والتقبيح، وتسجيل عليهم بنهاية الوقاحة والجهل والجرأة) (أبو السعود، لاتا: ٥٨٢ / ٥).

الالتفات من التكلم إلى الغيبة هو من مباحث الالتفات في الضمائر، وكغيره من المباحث تتكاثر لطائفه وتتوافر محاسنه في آيات من القرآن عثر عليها المفسرون والبلاغيون، ونحن نبرزها حتى تتم الفائدة بها ويحصل الكمال في الكلام، يرد هذا النوع من الالتفات لغرض إفهام السامع، قال السيوطي (٩١١هـ): (ومثاله من التكلم

إلى الغيبة: ووجهه أن يفهم السامع أن هذا نمط المتكلم وقصده من السامع حضر أو غاب، وأنه ليس في كلامه مما يتلون ويتوجه وييدي في الغيبة خلاف ما يديه في الحضور) (السيوطي، ١٩٧٤: ٢٢٩/٢) وأول ما يطالعنا في القرآن مثالا على هذا القسم قوله تعالى :

﴿كَذَّابٌ الْفِرْعَوْنُ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (آل

عمران: ١١)

موضع الالتفات هو في قوله تعالى (فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ) بلفظ الغيبة بعد أن كان بلفظ التكلم في قوله (بِآيَاتِنَا)، وذكر المفسرون في فائدته أنه لتربية المهابة وإدخال الروعة. قال أبو السعود : (و الالتفات إلى التكلم أولا، للجري على سنن الكبرياء، وإلى الغيبة ثانية بإظهار الجلالة لتربية المهابة وإدخال الروعة) (أبوالسعود، لاتا: ١١/٢).

يعد الانتقال من الخطاب إلى الغيبة من الأساليب التي زخر بها القرآن الكريم، وقد بين البلاغيون والمفسرون ما ظهر لهم من علل هذا الأسلوب، أن الالتفات من الخطاب إلى الغيبة يكون للتعظيم، وهذا الأمر لا يصح في جميع مواضع هذا الأسلوب، فإننا قد رأينا أن كل موضع يختص بغاية تختلف عن سواء، فهناك التوبيخ وهناك التعجيب وهناك الإنكار وغيرها مما سيعرض في أثناء البحث. فمن المواضع التي ورد فيها هذا اللون البلاغي قوله تعالى :

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (الفاتحة : ٧)

موضع الالتفات هو في قوله تعالى (غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ) وكان السياق المتوقع أن يقال : غير الذين غضبت عليهم. كما قال : صراط الذين انعمت عليهم. لكنه عدل إلى هذا الأسلوب لفائدة وهي اظهار التأدب في الخطاب مع الله وعدم نسبة هذا الغضب إليه لانه هو المنعم على البشر بالخلق والهداية وكثير من النعم التي إن عددناها لا نحصيها. وقال أبو السعود : (والعدول عن إسناد الغضب إليه كالانعام جرى على منهاج الآداب التنزيلية في نسبة النعم والخير إلى الله دون أضدادها) (أبوالسعود، لاتا: ١٩/١). لذلك، فإن الالتفات لا يؤدي إلى الانفصال بين الجملتين ، ولكنه يعتبر عاملاً في تماسك النص ويربط هذه الجملة بالجملة السابقة.

٢٣.٢. الالتفات العددي

يعتبر الالتفات في العدد من الظواهر الجميلة في القرآن الكريم، والتي تحسن الإشارة إليها. وقد تكرر هذا النوع من الالتفات في القرآن الكريم، سواء بين التثنية والجمع، أو بين الإفراد والجمع، أو بين التثنية والإفراد. غالباً ما لا نجد فرقاً في الدلالة والمعنى بين اللفظ في حالتي الإفراد والجمع، ولكن في ألفاظ القرآن الكريم المعجزة هناك تحول كبير في دلالة اللفظ وتباين في معناها في الإفراد وفي الجمع، فقد تأتي اللفظة القرآنية في موضع بصيغة الإفراد، ويعدل عنها في موضع آخر إلى صيغة الجمع ولكل حالة معناها المستقل تبعاً للسياق الذي وردت فيه من المستويات التي يظهرها الالتفات. مثل ذلك في قوله تعالى:

﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَيْنٌ﴾ (ق/٢٣) ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ (ق/٢٤)

موضع الالتفات هو في قوله تعالى (أَلْقِيَا) بلفظ المثني، وذكر المفسرون فيه أن الخطاب للمفرد لكنه كرر الفعل تأكيداً. فكأنه قال: ألق ألق. وقيل: إن الخطاب الخزنة النار والزبانية. فهو على هذا الأمر انتقال من المثني إلى الجمع. وقيل: هو على بابه في التثنية إذ المقصود خطاب الملكين السابقين في قوله تعالى ﴿وَحَلَّتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ (ق/٢١) وقيل: بل هو خطاب للواحد نزل منزلة الاثنين وهو عادة العرب في ذلك لأنهم يخاطبون المفرد بالمثني كما يقولون: يا صاحبي وخليلي. وهو واحد. وقيل غير ذلك مما سيأتي بيانه الآن.

وذهب الزمخشري إلى أن الخطاب للملكين السابقين: السائق والشهيد إذ قال: ((أَلْقِيَا) خطاب من الله تعالى للملكين السابقين السائق والشهيد، ويجوز أن يكون خطاباً للواحد على وجهين: أحدهما: قول المبرد: أن تثنية الفاعل نزلت منزلة تثنية الفعل الاتحادهما كأنه قيل: ألق ألق. للتأكيد. والثاني: أن العرب أكثر ما يرافق الرجل منهم أثنان فكثير على ألسنتهم أن يقولوا: خليلي وصاحبي وقفاً واسعداً، حتى خاطبوا الواحد خطاباً الاثنين (الزمخشري، ١٤٠٧: ٧/٤). ويبدو أن أبا السعود ذهب في الآية إلى أنها خطاب للمثني إذ قال: (خطاب من الله تعالى للسائق والشهيد أو للملكين من خزنة النار أو الواحد على تنزيل تثنية الفاعل تثنية الفعل وتكريره.. أو

على أن الألف بدل من نون التوكيد على إجراء الوصل مجرى الوقف. ويؤيده أنه قرئ : القين، بالنون الخفيفة) (أبوالسعود، لاتا: ١٣٠/٨)
ومن أمثلة الالتفات بين التثنية والإفراد قول الله تعالى :

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ (الرحمن: ١٩) ﴿يَنْهَمَا بَرِّخَ لَا يَتَّعِيَانِ﴾ (الرحمن: ٢٠) ﴿فَيَأْتِيَهُمَا آوَاءٌ﴾
﴿رِيحًا تَكْذِبَانِ﴾ (الرحمن: ٢١) ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ (الرحمن: ٢٢) ﴿فَيَأْتِيَهُمَا آوَاءٌ﴾
﴿رِيحًا تَكْذِبَانِ﴾ (الرحمن: ٢٣)

موضع الالتفات هو في قوله تعالى (يَخْرُجُ مِنْهُمَا) بلفظ المثني بدل المفرد، وكان السياق أن يقال : يخرج منه. ذاك لأن اللؤلؤ يخرج من الماء المالح لا العذب، وإنما قال (مِنْهُمَا) كما ذكر المفسرون - لأنهما لما التقيا صارا كالشيء الواحد، وقيل : إنه يتولد من ملتقاهما ثم يدخل الصدف في الماء المالح عند انعقاد الدر فيه طالبة للملوحة وقيل : إنه يخرج من الماء العذب أيضا كما يخرج من الماء المالح. وذهب الزمخشري إلى أن التقاءهما - أي البحرين - جعلهما كالشيء الواحد فكان ذلك مسوغاً لأن يقال : منهما ، إذ قال : (فإن قلت : لم قال : (منهما) وإنما يخرجان من الملح؟ قلت : لما التقيا وصارا كالشيء الواحد جاز أن يقال : يخرجان منهما : كما يقال يخرجان من البحر. ولا يخرجان عن جميع البحر ولكن من بعضه، ويقول : خرجت من البلد. وإنما خرجت من محلة من محاله، بل من دار واحدة من دوره. وقيل : لا يخرجان إلا من ملتقى الملح والعذب) (الزمخشري، ١٤٠٧: ٤٥/٤)

ورجح أبو السعود ما ذهب إليه الزمخشري قبل من أن التقاء البحرين بعضهما ببعض جعلهما كالشيء الواحد فأجاز ذلك أن يقال «منهما». قال أبو السعود : (اللؤلؤ الثمر، والمرجان الخرز الأحمر المشهور، وقيل : اللؤلؤ كبار الثمر والمرجان : صغاره. فنسبة خروجهما حيثئذ إلى البحرين، مع أنهما يخرجان من الملح على ما قالوا. لما قيل أنهما لا يخرجان إلا من ملتقى الملح والعذب. أو لأنهما لما التقيا صارا كالشيء الواحد ساغ أن يقال : يخرجان من البحر مع أنهما لا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وهو الأظهر) (أبوالسعود، لاتا: ١٨٠/٨)

ومن أمثلة الالتفات بين الإفراد والجمع ما جاء في سورة هود عند قوله تعالى :

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأَنزِلُوا عَشْرِ سُورٍ مِّثْلَهُ مُقَرَّرَاتٍ يُدْعَوْنَ مِنْهُ لِيُفْتَحَتْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (هود/ ١٣) ﴿فَالَّذِينَ لَا يَرْجُوا إِلَهًا إِلَّا اللَّهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (هود/ ١٤)

موضع الالتفات هو في قوله تعالى (لَكُمْ) بلفظ الجمع، وكان السياق المتوقع أن يقال : لك، ليتوافق مع ما قبله من قوله (قُلْ) إلا أنه عدل عن المفرد إلى الجمع لنكتة بلاغية تنوعت وجوهها، فهي إما لتعظيم الرسول ، أو أن الخطاب كان للمؤمنين أيضا لان أمر الرسول متبع عندهم واجب عليهم، وقيل : إن الضمير في (لكم) عائد على النبيه وعلى المؤمنين، وقيل : هو عائد على المشركين. ويكون الخطاب في قوله « فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ » لهم، لا لغيرهم. وذكر الزمخشري فيه أوجه، مبتدأ هذه الأوجه بالسؤال، إذ قال : (فان قلت : ما وجه جمع الخطاب بعد إفراده وهو قوله (لَكُمْ فَأَعْلَمُوا) بعد قوله (قُلْ)؟

قلت : معناه : فإن لم يستجيبوا لك وللمؤمنين، لأن رسول الله ، والمؤمنين كانوا يتحدونهم. وقد قال في موضع آخر ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ﴾ (القصص: ٥٠). ويجوز أن يكون الجمع لتعظيم رسول الله... ووجه آخر : وهو أن يكون الخطاب للمشركين، والضمير في (لَمْ يَسْتَجِيبُوا) لمن استطعتم، يعني : فإن لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله إلى المظاهرة على معارضة لعلمهم بالعجز عنه وإن طاقهم أقصر من أن تبلغه « فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَنْزَلَ بِعِلْمِ اللَّهِ » أي أنزل ملتبسا بما لا يعلمه إلا الله من نظم معجز للخلق وإخبار بغيوب لا سبيل لهم إليه، واعلموا عند ذلك أن لا إله إلا الله وحده وأن توحيده واجب والإشراك به ظلم عظيم) (الزمخشري، ١٤٠٧: ٢/ ٢٦١).

٣٣.٢. الالتفات في الأفعال

نجد أحيانا تراكيب في اللغة تعبر عن أحداث الماضي بصيغة المضارع المجرد استحضارا لصورة الحدث وجعله ماثلا أمام المخاطب وإلى هذا المعنى تشير «حاشية الصبان»: (ويقدر الماضي واقعا في الحال أي في زمن المتكلم لاستحضار صورته

العجيبة) (الصبان، ٢٠٠٣: ٩٩ / ٣). ويرد هذا النوع من الالتفات في سور القرآن الكريم على نحو كبير، فنرى مواضع كثيرة عدل فيها الله تعالى عن الماضي إلى المضارع استجابة لمقتضى الحال ولأهمية الأحداث المعبر بها عن هذه الصيغة. فمن ذلك قول عز وجل:

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ رُسُلًا كَمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ (المائدة: ٧٠)

موضع الالتفات هو في قوله تعالى «يقتلون» وكان السياق أن يقال: «قتلوا»، ليتوافق مع قوله «كذبوا»، وذهب المفسرون إلى أنه عدل من الماضي إلى المضارع لاستحضار تلك الصورة الهائلة القتل وللتنبية على أن ذلك ديدنهم المستمر فلا ينقطع. قال الزمخشري: (فإن قلت: لم جيء بأحد الفعلين ماضية وبالآخر مضارعة؟ قلت: جيء (يقتلون) على حكاية الحال الماضية استفظاعة للقتل واستحضارة لتلك الحال الشنيعة للتعجب منها) (الزمخشري، ١٤٠٧: ٦٣٣/١).

وهكذا يقول أبو السعود عن هذا الموضع: (وإنما أوتر عليه صيغة المضارع على حكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها الهائلة للتعجب منها وللتنبية على أن ذلك ديدنهم المستمر وللمحافظة على رؤوس الآي الكريمة، وتقديم (فريقا) في الموضعين للاهتمام به) (أبو السعود، لاتا: ٦٣/٣).

الالتفات من المضارع إلى الماضي هو نوع من الالتفات في الأفعال ويعد هذا النوع من أقسام الالتفات البديعة لما له من خصوصية في حيوية الأسلوب ودقة أدلته للوظيفة المعنوية، وهو في الوقت نفسه ظاهرة بلاغية تعبر عن معنى مستقبلي بفعل ماض، أي هو للدلالة على إيجاد الفعل الذي لم يكن قد وقع بعد (سيوكر، ٢٠٠٨: ١٥٨) وإلى هذا المعنى يشير ابن الأثير بقوله: (وفائدة هذا النوع أن الفعل الماضي إذا أخبر عن الفعل المستقبل الذي لم يوجد بعد كان أبلغ وأؤكد في تحقيق الفعل وإيجاده، لأن الفعل الماضي يعطي من المعنى أنه قد كان ووجد وإنما يفعل ذلك إذا كان الفعل المستقبل من الأشياء العظيمة التي يستعظم وجودها) (ابن الأثير، لاتا: ١٩٨ / ٢) وما ورد من التفات قوله عز وجل:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَنَادَوْنَ لَوْلَا آيَاتُهُ أَتُؤْتِيكَ بَئِشًا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

(العنكبوت: ٢٣)

موضع الالتفات هو في قوله تعالى «يئسوا» حيث جاء بلفظ الماضي وكان السياق المتوقع أن يقال (يئأسوا) بلفظ المضارع لانه يشير ليأسهم في يوم القيامة. وإشار صيغة الماضي للدلالة على تحققه لاشك في ذلك. وذهب بعضهم إلى أن اليأس حصل منهم في الدنيا لإنكارهم البعث والجزاء. وقيل: المراد من ذلك هو إظهار مباينة حال الكفار الذين لا يرجون خيرا وحال المؤمنين، المشفقين من ذلك اليوم. قال الزمخشري: (أي: يئأسون منها يوم القيامة، فبعد عنه بالماضي للتحقق والمبالغة، أو أيأسوا في الدنيا لإنكار البعث والجزاء) (الزمخشري، ١٤٠٧: ٢٠٣/٣).

وقال أبو السعود: (أي يئأسوا منها يوم القيامة، على انه وعيد وإلا فالكافر لا يوصف باليأس في الدنيا لانه لا رجاء له. وصيغة الماضي للدلالة على التحقق، وجوز ان يكون المراد إظهار مباينة حالهم وحال المؤمنين لان حال المؤمن الرجاء والخشية وحال الكافر الاغترار واليأس فهو لا يخطر بباله رجاء) (أبوالسعود، لاتا: ٣٦/٧).

الالتفات من الأمر إلى المضارع نوع لطيف من أنواع الالتفات لأنه يتجلى فيه جمال النظم وبلاغة البيان، إذ كيف يمكن أن يجري الكلام مجري الخبر، وقد اعترضه الأمر، لكن البلاغيين لا يعجزهم تخريج أو تأويل ذلك بحيث يزيد النظم جمالاً وحسناً إلى جماله وحسنه (سيبوك، ٢٠٠٨: ١٨١) من أمثله في القرآن الكريم قول عز وجل:

﴿وَالْوَلَدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْمِ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ

وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (بقره: ٢٣٣)

موضع الالتفات هو في قوله تعالى «يرضعن» إذ أخرج الأمر بصيغة الفعل المضارع أو بصورة الخبر كما عبر عنه المفسرون، ومعناه النذب، وهو أمر استحباب لا أمر إيجاب لانه لا يجب عليهن الإرضاع إذا وجد من يرضع الولد، وفائدة هذا الالتفات هي المبالغة في الحمل على تحقيق مضمون الكلام. قال الزمخشري متحدثاً عن الآية: (أما قوله تعالى «يرضعن أولادهن» ففيه مسألتان: المسألة الأولى: هذا الكلام وإن كان في اللفظ خبراً إلا انه في المعنى أمر، وإنما جاز ذلك لوجهين: الأول: تقدير

الآية : والوالدان يرضعن أولادهن في حكم الله الذي أوجبه، ألا انه حذف لدلالة الكلام عليه. والثاني : أن يكون معني : يرضعن : ليرضعن : إلا انه حذف ذلك للتصرف في الكلام مع زوال الإيهام.

المسألة الثانية : هذا الأمر ليس أمر إيجاب، ويدل عليه .. قوله تعالى : فإن أرضعن لكم فأتوهن أجورهن (الطلاق)، ولو وجب عليها الإرضاع لما استحققت الأجرة (الزمخشري، ١٤٠٧: ٣٦٩/١).

وقال أبو السعود : (أمر عبر عنه بالخبر للمبالغة، ومعناه الندب أو الوجوب فيخص بما إذا لم يرتضع الصبي إلا من أمه أو لم يوجد له ظئر أو عجز الوالد عن الاستئجار) (أبو السعود، لاتا: ٢٣٠/١).

٤٣.٢. الالتفات في المفردات

يتمثل الالتفات في هذا المجال «بين الألفاظ التي تتداخل دوائرها الدلالية بحيث تتلاقى في مساحة أو قدر مشترك من المعني، ثم ينفرد كل منها ببعض الخصوصيات أو الطاقات الإيحائية التي لا يشاركه فيها سواه، فطرفا العدول في هذا المجال هما لفظان يشتركان فيما يطلق عليه العلماء المعاصرون دلالة المركزية» (طبل، ١٩٩٨: ١٥٩). وهو أحد عناصر الانسجام ومن ذلك أيضا العدول عن فعل الإيمان إلى فعل التقوى في قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (البقرة : ٢١٢).

لقد ذكر الزمخشري أن سر العدول عن لفظ الإيمان إلى لفظ التقوى هو : «ليربك أنه لا يسعد عنده إلا المؤمن المتقي، وليكون بعثا للمؤمنين على التقوى إذا سمعوا ذلك» (الزمخشري، ١٤٠٧: ١٢٩/١). وأبو السعود في تفسيره، يقول : «الذين اتقوا هم الذين آمنوا بعينهم، وإنما ذكروا بعنوان التقوى للإيذان بأن إعراضهم عن الدنيا للاتقاء عنها لكونها مخلة بتبتلهم إلى جناب القدس شاغلة عنه» (أبي السعود، لاتا: ٢١٤/١). فتفسير العدول على هذا النحو هو - فيما نرى - ما يلائم سياق الإخبار عن سخرية الكفار من المؤمنين، تلك السخرية التي كانت - كما ذكر المفسرون - من

المؤمنين الذين لاحظ لهم من الدنيا كبلال وعمار وابن مسعود (النحاس، ١٤٠٩: ١٢٨/١؛ البيضاوي، لاتا: ٢٣١/١)، ومن ثم فإن في العدول عن صفة الإيمان إلى صفة التقوى - في هذا السياق - تسفيها لهؤلاء الساخرين، وإبرازا للمفارقة بين تعالى الساخر بزينة الحياة الدنيا، وتعالى المسحور منه على تلك الزينة اتقاء للفتان بها، أو الانغماس في متاعها الآني الزائل.

فمن ذلك مثلاً قوله تبارك وتعالى :

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (العنكبوت : ١٤).

حيث جاء تمييز المستثنى بلفظ «العام» لا بلفظ «السنة» الوارد في تمييز المستثنى منه ، وكل من اللفظين يدل على معنى الحول أو مقدار قطع الشمس البروج الاثني عشر، والمخالفة بينهما ذلك هو تحاشي تكرار لفظة السنة ؛ «لأن تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد حقيق بالاجتناب في البلاغة إلا إذا أوقع ذلك لأجل غرض يتتبعه المتكلم من تفخيم أو تهويل أو تنوية أو نحو ذلك» (الزمخشري، ١٤٠٧: ١٨٦/٣؛ أبي السعود، لاتا: ٣٣/٧). في علم اللغة، يعد هذا التطبيق تحت مجموعة الانسجام المعجمي ويدمج النص.

٥٣.٢. الالتفات في الحروف

فمن ذلك ما يتمثل في قول الحق تبارك وتعالى:

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَافَةَ فُلُوهُمْ فِي الرِّقَابِ وَالْغَنَرِمِينَ

وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة : ٦٠).

ففي الآية الكريمة عدول عن حرف الجر (اللام) الوارد في صدرها مع الفقراء إلى «في» مع الرقاب وسبيل الله ، والحرفان يشتركان في تأدية معنى وظيفي عام هو التعليق، غير أن كلا منهما ينفرد في تأدية هذا المعنى بخصوصية لا يشركه فيها الآخر (تمام حسان، ١٩٧٩: ١٢٥)، إذ إن أولهما يفيد التعليق على معنى الملكية، أما

الثاني فيفيد التعليق على معنى الظرفية، ولهذه الخصوصية كان إشار كل منهما في موضعه من سياق الآية الكريمة .

يقول الزمخشري في بيان سر هذا العدول في الآية: إنه «للإيذان بأنهم (الرقاب - الغارمين - سبيل الله - ابن السبيل) أرسخ في استحقاق التصديق عليهم ممن سبق ذكره، لأن فيه للوعاء، فنه على أنهم أحق بأن توضع فيهم الصدقات، ويجعلوا مظنة لها ومصباً، وذلك لما في فك الرقاب من الكتابة أو الرق أو الأسر وفي فك الغارمين من التخليص والاتقاء، ولجمع الغازي الفقير أو المنقطع في الحج بين الفقر والعبادة، وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الأهل والمال، وتكرير «في» في (وفي سبيل الله وابن السبيل) فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين» (الزمخشري، ١٤٠٧: ١٥٩/٢).

تردد كثيرا بعد الزمخشري في هذا الرأي، إذ «لو كان الأربعة الأواخر هم الأحق بالصدقة - كما يقرر هذا الرأي - لبادرت الآية بتقديمهم على من سبقهم؛ إذ في تقديم الشيء دليل أفضليته على ما تأخر عنه، وذلك أن من عادة العرب الفصحاء» (أبي السعود، لاتا: ٧٦ / ٤)

ومن مواطن المخالفة بين الأدوات كذلك قوله عز وجل :

﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْليَاكُمْ لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ

مُتَّبِعِينَ ﴾ (سبأ: ٢٤)

ففي تلك الآية الكريمة استثمار للتباين بين أداتي الجر (علي - في) من حيث خصوصية المعنى الوظيفي في كل منهما . في إبراز البون الشاسع والمفارقة الواضحة بين الهداية والضلال ؛ إذ في إيثار الحرف الأول الدال على معنى الاستعلاء مع الهدى وإيثار الآخر المفيد لمعنى الظرفية مع الضلال ما يشعر بأن المهتدي - كما قيل - كأنه مستعل على فرس يركضه حيث شاء، أو على منار ينظر من فوقه الأشياء ويتطلع عليها، والضال كأنه منغمس في ظلام مرتبك فيه لا يدري أين يتوجه . (الزمخشري،

١٤٠٧: ٣ / ٢٥٩؛ أبي السعود: ٧ / ١٣٣-١٣٢)

ومن أنماط المخالفة بين الأدوات المتماثلة في القرآن الكريم - المخالفة في السياق الواحد بين أداتي الشرط (إن - إذا) كما يتجلى في مثل قول الحق تبارك وتعالى :

﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَئِنَّا هَٰذِهِ ۖ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ ۗ﴾

(الأعراف: ١٣١).

الأداتان تتفقان في تأدية معنى وظيفي عام هو (الشرط في الزمن المستقبل) غير أن لكل منهما خصوصيتها في تأدية هذا المعنى إذ إن الشرط مع «إن» أمر محتمل مشكوك فيه، أما مع «إذا»، فهو أمر مؤكد مقطوع بوقوعه ولهذا الفارق - كما ذكر البلاغيون - غلب اقتران الأولى بصيغة المضارع والثانية بصيغة الماضي؛ وذلك لأن الماضي هو أقرب للقطع من المستقبل (السكاكي، ١٩٣٧: ١٠٤). على أساس هذا الفارق جاء العدول في الآية الكريمة عن «إذا» إلى «إن» مؤدياً دوره في إبراز المفارقة التي سبقت لتصويرها، أعني المفارقة بين حال آل فرعون حين يشملهم الرخاء، ويعم ربوعهم الخير والخصب - وحالهم حين ينزل عليهم الجذب، ويكون القحط والضيق.

وقد لحظ كثير من المفسرين «أن هذه المخالفة بين الأداتين تتأزر بدلالاتها مع المخالفة بين صيغتي الشرط؛ إذ بينما جاء فعل الشرط في جانب الحسنة بصيغة الماضي الدالة على تحقق وقوع الحدث «جاءتهم» - جاء في جانب السيئة بصيغة المضارع الدالة على ندرة الوقوع، كما أنها تتأزر كذلك مع المخالفة بين التعريف والتنكير (الحسنة - سيئة)؛ إذ إن تعريف الحسنة يفيد كثرة النعم والخيرات على آل فرعون، فهي بالنسبة لهم أمر معهود مألوف كثيراً ما نعموا به جاحدين فضل المنعم عليهم - عز وجل - به، أما تنكير سيئة فيفيد أنها أمر طارئ عليهم لا عهد لهم به، وعلى الرغم من ذلك فإنهم يبادرون عند وقوعها إلى الاتصال منها والادعاء - سفاهة و جهلا - أنها من شؤم موسي - عليه السلام - وتابعيه، ناسين أو متناسين أن مقام هؤلاء بينهم ليس مقصورياً على وقت السيئة فحسب» (الزمخشري، ١٤٠٧: ٢/ ٨٤؛ أبي السعود، لاتا: ٢٦٤/٣).

٦٣.٢. الالتفات في بناء النحوي

التفات في البناء النحوي هي التحول أو الانكسار في نسق المكونات النحوية للتعبير وتتحقق عند إعادة عنصر من عناصر البناء النحوي على نمط مخالف لما ورد به

أولاً في ذات التعبير أو السياق، بحيث يكون المعنى الذي يؤديه التعبير مع هذه المخالفة هو ما يتأدي بدونها، من ذلك بناء الفعل للمفعول بعد بنائه للفاعل أو العكس، أو إirاده تارة لازماً وأخرى متعدداً، أو التحول في بناء الجملة عن نمط الفعلية إلى نمط الاسمية أو العكس... أو ما إلى ذلك من تحولات تفجأ الملتقي وتشير تأمله بحثاً عن مثيراتها السياقية، وظلالها الدلالية الخاصة.

فمن تلك المواطن قول الحق تبارك وتعالى:

﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا لَا نَعْلَمُ﴾

قَدْ ذُنُّوا بِبَيْنِهِمْ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ (الأعراف: ٤٤)

فلقد عدلت الآية الكريمة عن ذكر مفعول الوعد في «وعدنا» إلى حذفه في «وعد ربكم»؛ إذ لو جرى السياق على نمط واحد لقليل: فهل وجدتم ما وعدكم ربكم. وهذا الاستبدال هو عامل من عوامل التماسك في النص. وللمفسرين في توجيه هذا العدول أقوال:

الزمخشري يعتقد أن «هو» إيجاز وتخفيف واستغناء عن المحذوف في الوعد الثاني بالمذكور في الوعد الأول (الزمخشري، ١٤٠٧: ٦٤/٢). وفي رأي أبوالسعود «هو» راجع إلى المخالفة بين وعد أصحاب الجنة ووعد أصحاب النار؛ إذ إن الثاني منهما يشمل كل ما وعد الله عباده به من البعث والحساب والثواب والعقاب وسائر أحوال يوم القيامة، فهو ليس وعداً خاصاً بالكفار، بل هو وعد عام أو مطلق، وهذا سر حذف مفعوله، أما الوعد الأول فهو الوعد بنعيم الجنة، أي أنه وعد خاص بالمؤمنين، ومن ثم ذكر مفعوله العائد عليهم (أبي السعود، لاتا: ٣ / ٢٢٩).

أبوالسعود قائل أيضاً فيه «إبراز للمفارقة بين ما يظفر به المؤمنون من حفاوة و تكريم وما يجابه به الكفار من إهانة وتحقير، ففي ذكر المفعول به - أولاً - دليل على أن المؤمنين خوطبوا بهذا الوعد من قبل الله تعالى، وفي ذلك مزيد من التشريف الحالهم، أما حذفه - ثانياً. ففيه إسقاط للكفار عن رتبة التشريف، وإشعار بأنهم ليسوا أهلاً لخطابه عز وجل» (نفسه).

ومن تلك المواضع كذلك قوله سبحانه على لسان زكريا عليه السلام:

﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۖ يَرِثُنِي

وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّي رَضِيًّا﴾ (مريم: ٥ - ٦).

ففي الآية الثانية مخالفة تتمثل في إعمال فعلي الإرث، إذ إن الموروث قد وقع مفعولا به لأولهما «يرثني» ومجرورا بمن بعد ثانيهما «ويرث من». ولو جرى السياق على نمط واحد لقليل: يرثني ويرث آل يعقوب. لقد ذكر المفسرون رأيين في وظيفة حرف الجر «من»:

أولهما: أنها للتعدية: يقال: ورثته وورثت منه لغتان، والثاني: أنها للتبعية لا للتعدية، لأن آل يعقوب لم يكونوا كلهم أنبياء ولا علماء (الزمخشري، ١٤٠٧: ٣/٤٠٥؛ أبي السعود، لاتا: ٢٥٥/٥) والرأي الثاني هو الأرجح، ولعل مما يؤيده أن زكريا عليه السلام قد رتب رغبته في الولي الذي يرثه على خوفه من الموالي، والموالي كما ذكر غير واحد من المفسرين هم شرار بني إسرائيل (الزمخشري، ١٤٠٧: ٣/٤٠٥؛ أبي السعود، لاتا: ٢٥٤/٥)، ومغزى ذلك أنه عليه السلام قد سأل ربه أن يهبه وليا يحسن خلافته من بعده فلا يرث إلا الأخيار الصالحين من بني إسرائيل «آل يعقوب».

ومن تلك المواطن أيضا قوله تبارك وتعالى على لسان النفر الذين آمنوا بمحمد (ﷺ) من الجن:

﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدُ يَمْنُ فِي الْأَرْضِ أَمِ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ (الجن: ١٠)

حيث عدل عن بناء فعل الإرادة للمفعول «مع الشر» إلى بنائه للفاعل «مع الخير»، وفي هذا العدول إشعار بأن هؤلاء الذين خالطت بشاشة الإيمان قلوبهم قد عزفت ألسنتهم عن ذكر الخالق عز وجل في جانب إرادة الشر - يقول ابن المنير السني في ذلك: «ولقد أحسنوا الأدب في ذكر إرادة الشر محذوفة الفاعل، والمراد بالمريد هو الله عز وجل، وإبرازهم لاسمه عند إرادة الخير والرشد، فجمعوا بين العقيدة الصحيحة والآداب المليحة» (الزمخشري، ١٤٠٧: ٤/١٤٧؛ أبي السعود، لاتا: ١٩/١). فمن ذلك مثلا قوله عز وجل:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (المائدة : ٦٩).

فلقد وردت لفظة «الصابئون» على الرفع لا على النصب الذي يقتضيه ظاهر النسق في الآية الكريمة. لقد تعددت آراء النحاة والمفسرين في إعراب لفظة «الصابئون»، وأبرز هذه الآراء ماذهب إليه سيبويه وتابعه فيه جمهور المفسرين من أنها مرفوعة على الابتداء وخبرها محذوف، والجملة معطوفة - على نية التأخير - على موضع إن واسمها وخبرها، كأنه قيل: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك (الزمخشري، ١٤٠٧: ٣٥٣-٣٥٤)، أما سر إشار لفظة «الصابئون» بالرفع دون ما قبلها وما بعدها في الآية الكريمة فهو - كما ذكر أصحاب هذا الرأي - الإشعار بمخالفة الصابئين لكل المذكورين معهم في العقيدة والتنبيه على أنهم كانوا أشدهم ضلالاً (الزمخشري، ١٤٠٧: ٧٧٣/١؛ أبي السعود، لاتا: ١٠٨/١).

وبذلك تؤدي تلك المخالفة الإعرابية دورها في سياق تلك الآية التي تعد المؤمنين بعظيم الثواب ونفي الخوف والحزن عنهم يوم القيامة، فكأن الآية بتلك المخالفة تقول: كل هؤلاء إن آمنوا وعملوا صالحاً قبل الله توبتهم وأزال ذنبهم حتى الصابئون (الزمخشري، ١٤٠٧: ٣٥٤/١؛ أبي السعود، لاتا: ٦٢/٣).

٤٢. خاتمة

تمكنت هذه الدراسة من الوصول إلى هذه النتائج والحقائق التي تتلخص في أن الالتفات يعدّ أحد الأساليب المتداولة بكثرة في القرآن الكريم. يوجد في القرآن الكريم أنواع الالتفات نحو: الالتفات في الضمائر - الالتفات في العدد - الالتفات في الأفعال - الالتفات في المفردات - الالتفات في الحروف - الالتفات في البناء النحوي) كمكوات الانسجام في هذا التفسيرين الكشف وإرشاد العقل السليم ولوحظ أن هذا التفسيرين متساوي في بعض المواطن القرآنية التي تمثلت فيها صورة الالتفات. حمل المخاطب على الانتباه لتغير وجه الأسلوب عليه، لأن الكلام إذا كان على نسق واحد فإن الإنسان ينسجم معه، وربما يغيب فكره؛ وأما إذا جاء الالتفات فكأنه يقرع الذهن

ويقول للسامع انتبه، لأن الكلام المتوالي على ضمير واحد قد يمل ولأن النفوس تستريح ويتجدد نشاطها إذا انتقل السياق من حال إلى حال وتغير لون الكلام. حمله على التفكير في المعنى، لأن تغيير وجه الأسلوب، يؤدي إلى التفكير في السبب. وبالتالي يوجد أن بواعث الالتفات لم تكن موضع اتفاق عند المفسرين. فاحدهما يؤيد والآخر ينقص. لذا كان للسياق الدور الكبير في إبراز هذه البواعث. إن الزمخشري لم يقصر بواعث الالتفات على باعث واحد وهو نظرية لنشاط السامع وإيقاظ للإصغاء إليه، بل كان مقصوده أن الانتقال عامة من أسلوب إلى آخر يجعل السامع يتنبه على حدوث شئ ما وهو ما يدفعه إلى إيقاظ سمعه وبصره. ولم يكن قصده الاختصار على هذه الغاية في الالتفات. وإن أبا السعود في تفسيره (إرشاد العقل السليم) كان من المولعين ببيان مواضع الالتفات في القرآن واستنباط الفوائد منها.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- ابن الأثير، ضياء الدين، (دون تاريخ). المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
- ابن المعتز، عبدالله، (١٩٨٢م). كتاب البديع، اعنتي بنشره وتعليق المقدمة والفهارس اغناطيوس كراتشكوفسكي، الطبعة الثالثة، دار المسيرة، بيروت.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان، (١٩٥٦م)، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، بيروت: دار الكتب.
- ابن منظور، محمد بن مكرم، (٢٠٠٣م)، لسان العرب، بيروت: دار صادر.
- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، (دون تاريخ). تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- أحمد صالح، معين رفيق، (٢٠٠٣م)، "دراسة أسلوبية في سورة مريم"، رسالة الماجستير، جامعة النجاح الوطنية في نابلس: كلية دراسات العليا.

دور الإلتفات في انسجام القرآن الكريم (490)

- زارع، آفرين، ناديا دادبور، (١٣٩٠هـ)، الإعجاز البياني للقرآن الكريم من خلال أسلوبيه الانزياح دراسه وصفيه - تطبيقه، دراسات في اللغة العربية و آدابها، الرقم الخامس، صص: ٧٨-٤٧.
- بحيري، سعيد حسن، (د. ت)، دراسات لغوية تطبيقية بين البنية والدلالة، (د. ط)، القاهرة: مكتبة زهراء الشرق.
- بلال سامي، (٢٠١٢م)، "سورة الواقعة دراسة أسلوبية" رسالة الماجستير، جامعة شرق الأوسط: قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم.
- البيضاوي، ناصر الدين عبد الله، (د. ت)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دمشق: دارالفكر.
- تمام حسان، (١٩٧٩م)، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الحاتمي، ابو علي محمد بن الحسن بن المظفر، (١٩٧٩م). حلية المحاضرة في صناعة الشعر، تحقيق جعفر الكتاني، دار الرشيد للنشر، بغداد.
- خاقاني اصفهاني، محمد، محمد جعفر اصغري، (١٣٨٧)، سبك شناسي سوره مريم (البيان)، قم : موسسه فرهن گي و اطلاع رساني تبيان، صص: ١٠٦-٩٣.
- خطايي، محمد، (١٩٩١م)، لسانيات النص مدخل الي انسجام الخطاب، بيروت: المركز الثقافي العربي.
- دي بوجراند، وديسلر، (١٩٩٨م)، النص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمام حسن، القاهرة-مصر: دار الكتب.
- رحمانى، هما و رادمرد، عبدالله، (١٣٩١)، «بازنگري معنايي در التفات بلاغي و اقسام و کارکردهاي آن»، جستارهاي ادبي، الرقم ١٧، صص: ١٦٨-١٤٣.
- الزركشي، أبو عبدالله محمد بن بهادر بن عبد، (١٣٩١هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دارالمعرفة.
- الزمخشري، جار الله، (١٤٠٧هـ). الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي، بيروت.

دور الالتفات في انسجام القرآن الكريم (491)

- السكاكي، أبو يعقوب، (١٩٣٧م)، مفتاح العلوم، مصر: المطبعة الادبية.
- سليمان، فتح الله أحمد، (١٩٩٠م)، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، القاهرة: مطبعة الفنية.
- سيوكر، اسماعيل الحاج عبدالقادر، (٢٠٠٨م)، تنوع صور الالتفات في القرآن الكريم و مقاصده البلاغية و الاعجازية، رسالة الماجستير، جامعة سودان: جامعة ام درمان الاسلامية.
- السيوطي، جلال الدين، (١٩٧٤م). الإتيان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الصبان، محمد بن علي، (٢٠٠٣م)، حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، القاهرة: مطبعة دار إحياء الكتب العربية.
- صلاح فضل، (١٩٨٥م)، علم الأسلوب، بيروت: منشورات دارالآفاق الجديدة.
- طبل، حسن، (١٩٩٨م). اسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة.
- عبد المطلب، محمد، (١٩٨٤م)، البلاغة والأسلوبية، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- عبدالحليم، محمد، آ. س، (١٣٨٣هـ)، «صنعت التفات در قرآن (٢)»، ترجمة: ابو الفضل حري، مجلة زيباشناختي، الرقم العاشر، صص: ٣٨٢-٣٥٩.
- العسكري، أبو هلال، (١٤١٩هـ). الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية، بيروت.
- العلوي، يحيى بن حمزة، (١٤٢٣هـ). الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، الطبعة الأولى، المكتبة العنصرية، بيروت.
- الفقي، صبحي إبراهيم، (٢٠٠٠م)، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية، القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.
- قدامة بن جعفر (١٣٠٢). نقد الشعر، الطبعة الأولى، مطبعة الجوائب، قسطنطينية.

دور الالتفات في انسجام القرآن الكريم (492)

- القيرواني، ابن رشيق، (١٩٨١م). العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الخامسة، دار الجيل.
- مصلوح، سعد، (١٩٨٠م)، الأسلوب، دارالبحوث العلمية.
- النحاس، أبو جعفر، (١٤٠٩م)، معاني القرآن الكريم، تحقيق: محمد علي الصابوني، ط١، مكة المكرمة: جامعة أم القري.
- ويس، أحمد محمد، (٢٠٠٥)، الانزياح في التراث النقدي والبلاغي، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.
- الهديل، رعد حسين، (لاتا)، التقابل الدلالي في سورة الحديد، لأمك: مجلة جامعة الأنبار.